

المحاضرة الخامسة

تاريخ الصحافة المكتوبة ودورها في الحركة الوطنية المغربية.

- نشأة الصحافة الوطنية مرحلة المقاومة والاستعمار:

لم يكن للمغاربة يد في هذا المشهد الإعلامي، رغم أن النخبة المغربية كانت معجبة بالصحافة المشرقية، وتتوق للإقتداء بها، لكن هذه النخبة لم تتمكن من ذلك لأن القوانين القمعية قد استهدفت الصحف العربية والعربية التي يمكن أن تظهر فتستقطب أعداد كبيرة من القراء، لذا لجأت تلك النخبة إلى المساجد للتواصل والتعبئة.

بعد ذلك فكر المتعلمون المغاربة الذين تخرجوا من المدارس الفرنسية في إصدار جريدة، لكن تعقيد القوانين ونقص التجربة عرقل المشروع، وقد تدخل شكيب أرسلان لدى اليسار الفرنسي ليدير أول مجلة مغربية شهرية في الخارج باسم Maghreb وعين أحد حفدة كارل ماركس مديرا لها، وصدر أول أعدادها في جويلية 1932.

وقد توحدت الصحف الفرنسية في المغرب لخلق المجلة، وهو ما تحقق بعد صدور 24 عددا، لكن التجربة أفادت بعض الشبان المساهمين في Maghreb والذين سيلعبون دورا في تاريخ الصحافة المغربية مثل محمد حسن الوزاني، أحمد بلا فريج، محمد اليزيدي، للإشارة فإن الوزاني هو أول مغربي يتخرج من المدرسة الحرة للعلوم السياسية بباريس، وقد درس الصحافة كذلك.

عمليا، لم تحقق مجلة المغرب Maghreb طموح الوطنيين الشباب، لذا سعوا إلى تأسيس جريدة عربية محلية يومية أو أسبوعية تعبر عن مطالبهم، استحال ذلك فعمل الوزاني على إصدار جريدة ناطقة بالفرنسية رغم معارضة التيار التقليدي في الحركة الوطنية، وهو تيار يطالب بجريدة عربية أو لا شيء ، وقد أصدر الوزاني جريدة L'Action du peuple في فاس يوم 4 أوت 1933، وأشارت إلى أنها أسبوعية تدافع عن المصالح المغربية

فورا بدأت مؤامرات إفشال المشروع، ظهر شخص مجهول يدعى الوزاني أيضا وأصدر جريدة باسم La France au Maroc وذلك أولا لبليلة الأذهان، ثانيا لتذكير الجميع بأن فرنسا تحكم وثالثا لانتقاد الليبرالية الخطرة للإقامة العامة ومطالبتها بمنع L'Action du peuple المحاولة الثانية هي خلق شقاق بين حسن الوزاني والفرنسي الذي اتخذه كمدير واجهة للالتفاف على قانون الصحافة الذي يشترط ألا يكون مغربي مديرا لجريدة، لكن المؤامرة لم تنجح، لأن الوزاني عثر على فرنسي آخر استخدمه كواجهة.

رغم هذه العراقيل فقد نجح الوزاني في مهمته، وأصدر المغاربة صحفا مفرنسة بالتواطؤ مع فرنسيين يكونون مدراء واجهة، وهذه هي الثغرة التي استغلها الوطنيون وتغاضت عنها سلطات الحماية ما دامت الأغلبية المطلقة من المغاربة لا تقرأ الفرنسية، لكن مدير الشؤون الأهلية اكتشف سنة 1933 أن هذه فرضية خاطئة، لأن المغاربة يترجمون مقالات L'Action du peuple لقراءتها.

لقد تمكنت الصحف الوطنية، رغم عائق اللغة، من توسيع دائرة قرائها بفضل مطالبتها بإصلاح التعليم والعدالة والإدارة، وبفضل تقديمها لمحمد بن يوسف كرمز ومطالبتها بالاحتفال بعيد العرش يوم 18 نوفمبر، استجابت السلطات الاستعمارية لمطلب الاحتفال بعيد العرش لتحرم الجرائد الوطنية من موضوع للتعبة، لكن الوطنيون اعتبروا الاستجابة نصرا، وقد استقبل السلطان السادة الوزاني وبلا فريج سرا، وفي إطار التقارب بين السلطان والحركة الوطنية، زار محمد الخامس فاس في ماي 1934 ونظم الوطنيون تظاهرات كبرى، فوجئت سلطات الاستعمار، فقامت بتقليص مدة زيارة السلطان وأُخذ الحدث ذريعة لمنع كل الجرائد الوطنية في فاس وتطوان وباريس دفعة واحدة.

بعد ذلك أوصى الضابط المكلف بالشؤون الأهلية بتشديد ظهير 1914 المنظم للصحافة، وذلك بـ

- تعيين مدير مغربي للجرائد الوطنية، لتسهيل متابعته قضائيا.
- تعهد أصحاب الجرائد قبل صدورهم بالولاء لسلطة الاحتلال.
- إلزامية الحصول على إذن مسبق لإصدار جريدة بدل الاكتفاء بإيداع تصريح.

- توسيع صلاحيات منع الصحف الصادرة باللغات الأوروبية لضبط علاقة الإقامة بالصحافة الوطنية.

زار الوزاني مقر الإقامة العامة للاحتجاج على منع جريدته، فأوضح له المسؤول عن الشؤون الأهلية أن الجريدة تتضمن مطالب غير متجانسة يستحسن تقديمها بطريقة واضحة، وهكذا قدمت كتلة الأمل الوطني برنامج الإصلاحات المغربية للإقامة العامة والسلطان، ولم تشر إليه الجرائد الفرنسية مطلقاً، تقدم قادة الحركة الوطنية خطوة أخرى، خاصة وقد وصلت الجبهة الشعبية اليسارية إلى الحكم في فرنسا عام 1936، لكن النتائج على الأرض كانت مخيبة للأمل، وقد اعتقل الوزاني واليزيدي.

بعد موجة القمع جاءت فترة ليبرالية، تم خلالها إطلاق سراح المعتقلين وسمح لأول مرة بإصدار صحف وطنية فرنسية وعربية، لكن المقيم العام حل لجنة العمل الوطني سنة 1937 ومنع إنشاء الجمعيات الأدبية والرياضية وأبعد الوزاني إلى آقا وعلال الفاسي إلى الغابون، تابعت الصحف الوطنية دورها النضالي فمنعت أغلبها ومنعت الأحزاب فلجأت قوى الحركة الوطنية إلى العمل السري، وعادت إلى الوسائل التقليدية للتواصل والتعبئة.

هذا هو رد فعل السلطة على ظهور الصحافة الوطنية، أما رد فعل الصحف الفرنسية، وخاصة اليمينية فقد تمثل في الغضب والتحريض على الوطنيين الشباب، وقد طالبت إحدى الصحف بقتلهم ببساطة، اقترحت أخرى عرض قراء L'Action du peuple على طبيب نفسي لأنهم يشترون جريدة لا يقرؤون لغتها! عبرت ثالثة عن خيبة أمل المعمرين في المغرب، في حين اتهمت رابعة الوزاني بالعمالة للألمان.

رغم الحكم اليساري في فرنسا 1936-1938 فقد كان دور الصحافة اليمينية مؤثراً، كان صعود اليمين في أوروبا يلهم اليمين الفرنسي في المغرب، وكانت جريدة La voix française معجبة بهتلر، وقد احتفت بكل لجنة العمل الوطني المغربية وطالبت بمحاكمة مسانديها في فرنسا، وقد منعت الصحف اليمينية الصادرة في المغرب لما اشتد نقدها للجبهة الوطنية الحاكمة في فرنسا.

عرف المشهد الصحفي في المغرب قبل بدء الحرب العالمية الثانية هيمنة إمبراطورية ماص الإعلامية، كما عرف إصدار 73 جريدة في البيضاء و 42 في الرباط، من ضمن هذا الكم 9 يوميات و 36 أسبوعية، وقد ساهمت الأحداث الدولية (الحرب الأهلية في إسبانيا

وصعود اليمين في أوروبا) في تسييس الصحافة المغربية وتبلور صراع اليمين واليسار في الصحف، كانت صحافة رجال المال تركز على الأخبار، أما الصحافة الوطنية فكانت تركز على الرأي، وقد اتخذ وطنيو المدن الصحافة سيلة صراع سياسي.

الصحافة المغربية إبان الحرب العالمية الثانية (1939-1945).

وفرت مقدمات الحرب العالمية الثانية الفرصة للسلطات الاستعمارية في المغرب للقضاء على هامش الحرية الضيق، وقد استخدمت ظروف الحرب كوسيلة لإفقار المشهد الإعلامي وتحقيق أهداف محلية، منها منع صحف اليسار والنقابات عام 1939 بعد أن منع صحف الوطنيين عام 1937، ومن ثمة نقل مطالب الحركة الوطنية إلى الدرجة الثانية، وقد أطر ذلك بإصدار ترسانة قانونية مشددة بدعوى منع العدو من استخدام الصحافة كوسيلة دعائية، وقد تم ذلك الإفقار بوسائل قانونية ومادية.

قانونيا أطر قانون 29 أوت 1939 وضع الصحافة في هذه المرحلة، فهو:

- يوسع صلاحيات الإقامة العامة في مراقبة الإعلام، بل يسمح لمندوبي السلطة المركزية باتخاذ ما يرونه مناسبا محليا دون العودة إليها.

- يعاقب على نشر أي خبر عسكري لا يصدر عن الإقامة العامة.

- ينص على إنشاء خلية عامة للإعلام، لها مكاتب في مختلف مدن المغرب، مهمة هذه الخلية هي مراقبة كل ما له صلة بالصحافة والطباعة والمكتبات.

وقد صدرت ظهائر أخرى مُكملة تنص على المنع والغرامات والحبس ضد كل من

ينشر خبرا مضرا، كما منع إصدار جرائد جديدة أو استئناف إصدار صحف متوقفة

تقنيا استغلت الإقامة أزمة الورق وتدخلت لتحديد حجم الصحف وعدد صفحاتها

ونسسخها وتاريخ الصدور، مع منع الطباعة يوم الأحد حفاظا على الطاقة، ولذر الرماد في

العيون شكلت الإقامة العامة لجننتين لمنح بطائق مهنية للصحفيين المحترفين وتحديد لائحة

أجورهم.

الصحافة في عهد فيشي:

أعلن المقيم العام Noguère الولاء لحكومة الاحتلال في باريس، وأصبحت

الصحافة مضطرة للاختيار بين إتباع المقيم العام أو الانقراض، حتى الحياد لم يكن مسموحا

به إلا قليلا، وهكذا أصبحت إمبراطورية ماص الإعلامية في خدمة حكومة Vichy، تمجدها
وتصف الجنرال ديغول بالنذل الخائن، وقد فعلت جرائم ماص ذلك رغم أنها لا تعلن أي
لون سياسي، وقد فقدت شعبيتها بسبب حماسها للألمان.

تزايدت الصحف اليمينية في المغرب بين 1940 و 1942، وقد خصص لها المؤلف 12 صفحة من
بجته، أما صحف المعارضة فقد لجأت للسرية، ومنها Libération و El-watan التي طالبت لأول مرة
بالاستقلال، وذلك قبل توقيع وثيقة II جانفي، أما صحف الوطنيين المغاربة فقد منعت منذ 1937،
ولم يسمح إلا لجريدة عبد اللطيف الصبيحي La voix nationale بالصدور، لأن الرجل كان يحترم الخطوط
الحمراء التي وضعتها الإقامة العامة.

بعد إنزال الحلفاء في الدار البيضاء، بدأ المشهد الإعلامي يتغير، بدأت الصحف
اليمينية تعدل خطابها ليناسب المرحلة، وقد ركز جامع بايدة على صحف ماص مرة أخرى،
نظرا لحجمها ونموذجيتها، بدأت صحف المقاول تغازل الحلفاء وتمجد شارل ديغول على
خطى المقيم العام Noguère كان ماص يتلون حيثما وجدت مصالحة الاقتصادية.

أما صحف المقاومة فقد خرجت من السرية، وأهمها Libération وقد كانت ديغولية في
البداية، لكن مع مرور الوقت، أعلنت خطها الشيوعي وبدأت تنتقد الإقامة العامة
والكنيسة وهو ما أثار قلق السلطات الاستعمارية، لأن خطاب الجريدة ينه المغاربة إلى أن
الفرنسيين غير موحدين.

وقد عرفت المرحلة إصدار صحف نقابية مثل L'Action Sydicale التي طالبت برفع أجور
الفرنسيين والمغاربة على حد سواء، وتذرعت الإقامة العامة بأن حاجيات المغاربة أقل من حاجيات
الأوروبيين، والهدف من هذه الذريعة هو أولا كسر إمكانية التضامن بين الطرفين، وثانيا عرقلة انضمام
المغاربة إلى النقابات لأن عليهم الاكتفاء بالبنيات التقليدية للتضامن.

وقد اشترت النقابة جريدة Le petit Marocain من ماص وحولتها إلى جريدة مناضلة، وسبب هذا
الشراء هو أن يبهر ماص واجه صعوبات مع أنصار ديغول، القوة الصاعدة، التي أصدرت Le
Combattant ثم Résistance هذه القوة التي نددت بقمع حرية الصحافة في المغرب وطالبت بمحاكمة
الخونة الذين تعاونوا مع حكومة Vichy .

اضطر بيير ماص للانحناء فوزع إمبراطوريته الإعلامية على أصدقائه ليتكيف مع ظهور 19 فيفري 1945 الذي يحارب الاحتكار الإعلامي، ولم يبع إلا جريدة واحدة، وهكذا فقد بترت إمبراطوريته ولم تتفكك، وسيتمكن من تجميعها لاحقا، وستصمد في المغرب حتى 1971.

عام بعد إنزال الحلفاء في الدار البيضاء، لم تلتفت السلطات الاستعمارية لمطالب الوطنيين المغاربة الذين ناصروها، لذا بادروا وأسسوا حزبا للمطالبة بالاستقلال بدل المطالبة بإصلاحات محتشمة، وقد حرروا وثيقة II يناير ووقعتها ثمانية وخمسون شخصية، غضبت كل الصحف الفرنسية ضد مبادرة الوطنيين، وقد تبنت اتهامات الإقامة العامة ضدهم بزعم أنهم عملاء لألمانيا ويعرقلون الجهود الحربية، لم يكن بإمكان الوطنيين الرد لأن صحفهم ممنوعة.

هذا هو رد الفعل الإعلامي، أما رد الفعل السياسي على وثيقة II يناير فقد تمثل في اعتقال 18 موقعا على الوثيقة، وتلت ذلك احتجاجات في فاس سقط على إثرها 40 قتيلًا حسب السلطات الاستعمارية، بعد عودة الهدوء، بدأ موقف الصحافة اليسارية يتميز، إذ حملت الإقامة العامة مسؤولية أحداث فاس، لكن تلك الصحافة ظلت تعارض مطلب استقلال المغرب، وقد أعادت أحداث جانفي- فيفري 1944 المسألة الوطنية إلى الواجهة.

الصحافة في ظل الأزمة المغربية الفرنسية 1946-1956: I- الصحافة الاستعمارية:

في هذه المرحلة كانت الصحف الفرنسية منقسمة بين يمينية وLibérale، تميزت هذه الأخيرة بقراءتها الصحيحة لمجرى التاريخ، وكانت ترى أن الحل هو استقلال المغرب، وقد دافعت عن تفاهم الفرنسيين والمغاربة وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين وإعادة السلطان إلى عرشه وإشراك المغاربة في الإصلاحات، بدأ هذا الخطاب في صحافة رجل الأعمال جاك والتر، وكان تصرفه نابعا من دافع براغماتي وليس من موقف عدائي من الاستعمار، في هذا الإطار أنشأ والتر جريدة Maroc – presse لمحاربة الشيوعيين برعاية أمريكية¹، بل تقرب من الوطنيين فدخل في صراع مع ماص، وقد خدم هذا الصراع القضية الوطنية.

لم تمض فترة طويلة حتى قرأ بيير ماص مجرى التاريخ، فقد كان رجل الأعمال حريصا على استمرار مصالحه بقي الاحتلال أو زال، هكذا بدأت صحافة ماص تنتقل من النقيض إلى النقيض، فبعد أن كانت تدافع عن فيشي سنة 1940 صارت ديغولية عام 1943، وبعد أن كانت تؤيد بن عرفة والكلاوي، مرت بفترة حياد قصيرة صورت خلالها الأزمة وكأنها بين مغاربة، بين بن عرفة وبين يوسف، ثم نشرت نبوءة منجم عن عودة بن يوسف، بعد خمسة عشر يوما نشرت خبر عودة السلطان وصوره 16 نوفمبر 1955، بعد ذلك لم تعد صحف ماص تتخذ مواقف ضد الوطنيين، بل صارت تنشر أخبارهم بتوازن كي لا يغضب أي طرف.

وقد قارن المؤلف موقف ماص المتقلب بموقف الكلاوي الذي طلب العفو من محمد الخامس، لقد كان ماص مع الغالب، وكان شعاره هو المصالح قبل كل شيء، وقد كانت له مصالح كبيرة في العقار والبنوك والفلاحة بالمغرب، ومكنته هذه السياسة من المحافظة على إمبراطوريته الإعلامية في مغرب الاستقلال، فاستمرت Le Courrier du Maroc حتى 1962 و استمرت petit Marocain Le حتى 1971.

أما الصحف اليمينية فقد كانت تناهض حق المغاربة في الاستقلال، فمن جهة أولى تقود حملات ضد السياسة الرسمية الفرنسية بتهمة التفريط في الوجود الفرنسي بالمغرب، تنشر رسائل العسكريين الفرنسيين المتقاعدین المتشبهين باحتلال المغرب، بل اتهمت رجل الأعمال جاك والتر بدعم حزب الاستقلال، من جهة أخرى تقود حملات ضد الحركة الوطنية، تمجد بن عرفة وتنتقد السلطان وحزب الاستقلال، تعتبر المقاومة المغربية إرهابا.

-المصادر والمراجع :

- إدريس رشيد: ذكريات من مكتب المغرب العربي في القاهرة، الدار العربي للكتاب، ليبيا، تونس، 1981.
- بن بلة أحمد: مذكرات أحمد بن بلة، تر العفيف الأخضر، ط 2، دار الآداب، بيروت، 1979.
- حربي محمد الثورة الجزائرية سنوات المخاض تر نجيب عباد ، صالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر.
- حربي محمد: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر كميل داغر، مؤسسات الأبحاث العربية، بيروت 1983.
- غلاب عبد الكريم: ملامح من شخصية علال الفاسي، الدار البيضاء، الشركة المغربية للطبع والنشر، 1974.
- غلاب عبد الكريم: تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج 1، مطبعة الرسالة بالرباط، 1987.
- الفاسي علال: المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، مطبعة دار أمل، المغرب، 1955.
- الفاسي علال: دفاعا على وحدة البلاد، مطبعة الرسالة، سبتمبر 1957.
- الفاسي علال: كي لا ننسى سلسلة الجهاد الأكبر، مطبعة الرسالة، الرباط، 1993.
- الفاسي علال: نداء القاهرة، ط 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1959.
- المراجع باللغة العربية:
- أمطاط محمد: الجزائريون في المغرب بين 1830 - 1962، ط 1، دار الرقراق، الرباط، 2002.
- بيضا جامع: ' صحافة طنجة مرآة للصراع الدولي حول المغرب 1900-1912 '، طنجة في التاريخ المعاصر 1800 - 1965، الرباط: النشر العربي الإفريقي، 1991.

- زكي مبارك: أصول الأزمة في العلاقات الجزائرية المغربية ، نصوص شهادات وثائق ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2007.
- زكي مبارك: محمد الخامس وحركة التحرير الجزائرية 1956 - 1961، الذاكرة الوطنية، عدد خاص، المغرب 2005.
- عبده عزيزة: الإعلام السياسي والرأي العام، دراسة في ترتيب الأولويات، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.
- مصطفى فؤاد: محمد الخامس وكفاح المغرب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.